تطبيقات

obeikan.com

obeikan.com

محمد أركون... وقصة كتاب لم يكتمل!

عندما ذهبنا إلى باريس، كان ذلك قبل ثلاثين عاماً كان اسم محمد أركون ملء السمع والبصر، وكانت الجامعات الفرنسية هى قبلتنا التى نلتقى فيها صباحاً ومساءً، وأذكر أن أحدهم قد همس فى أذنى وقد بدا له إعجابى بأركون: لا تفكر فى مجرد تسجيل الدكتوراه تحت إشراف مسيو أركون، فالرجل لا يحب العرب ويكره أصله العربى الجزائرى.

وكانت هذه النصيحة الخبيثة كفيلة بأن تبعدنى عن الرجل سنوات وسنوات، وعندما التقيت به لاحقاً فى أحد مؤتمرات المتوسطية الذى كان مركز الدراسات العربى الأوروبى من أوائل من اهتموا بها، وجدته أمامى يحمل أوراقه فى حقيبته كتلميذ مجتهد فسألته عن سبب كراهيته للعرب فأجابنى بقوله: كيف أكره العرب وأنا منهم؟ ثم كيف أكره العرب وعندما بحثوا عن شخص يكتب عن العرب. لم يجدوا سواى. ثم لا تنس أن أسمى الأول محمد..، لا أتساهل مع أولئك الذين يكتبونه خطأ فقديماً كتبه بهجت النادى رئيس تحرير مجلة «رسالة اليونسكو» فصححته له وكتبت إليه التصحيح بنفسى وقلت أنا اسمى الأول «محمد» على اسم صاحب الرسالة الإسلامية، أما اسمى الثانى وهو أركون لا «تركون» وهو اسم عربى أصيل ودرست فى المدرسة الثانوية بوهران وكنت طالباً بكلية الآداب بالجزائر؛ ثم استطرد قائلاً: فى الحقيقة يبتعد عنى الطلبة لأننى أشترط أن يملك الطالب ناصية اللغة العربية أولاً ثم ناصية البحث العلمى ثانياً، وأريده أن يكون

كحالى عندما كنت طالباً فى الدكتوراه حيث كنت لا أتأفف وأنا أسير فى حى المجاورين فى الأزهر الشريف أو أضرب موعداً مع أحد الوراقين الذى يأتى إلى. وهو فرح سعيد – بأوراق مكتوبة عن ابن مسكويه، الذى درسته دراسة شاملة فى الدكتوراه.. حرضنى ما سمعته منه عن سؤاله عن علاقته السيئة برجلين: الأول عبد الرحمن بدوى أستاذ أساتذة الفلسفة فى عالمنا العربى، والثانى هو جاك بيرك صاحب أصدق ترجمة لمعانى القرآن الكريم فأجابنى الرجل – وقد انفرجت أساريره – بعد أن تحلق حوله عدد من المؤتمرين، وقال: عندما يذكر اسم بدوى أكاد أخر ساجداً لموهبته الربانية فى تحقيق التراث العربى أما شخصه – قال ذلك وهو يضحك – فهو كريه إلى نفسى، أما بيرك فلقد طبعت ترجمته أكثر من مرة فى الجزائر – التى ولديها – ولست مع أولئك الذين يرفعونه إلى أعلى عليين (مع الصديقين والشهداء) إنه إنسان عادى، وكل ما هنالك أنه يمثل تياراً فكرياً من حق الأجيال المقبلة أن تجتهد وأن تذهب أبعد مما ذهب إليه رغم أنه صاحب أول ترجمة أمينة – لأنه يحب الأدب، قال ذلك ثم شد حقيبته إلى صدره، والتفت حوله. ثم استأذن فى الرحيل. تذكرت على الفور شارع المعبد الذى كان أركون يحب أن يسير فيه ثم الفندق الشهير الذى كان مولعاً بالجلوس فيه والمخطط العام الذى كان يحيط بكل ما قدم فى الفكر الإسلامى.. فقد كان – يرحمه الله – يريدنى أن أكتب عنه كتاباً.. وأذكر أنه فى كافتيريا ذلك الفندق الذى يقع فى ميدان الجمهورية قال: إننى أود أن تكتبه بلغة الكفاح المعروفة عن فترة عبد الناصر وحزب البعث والحركات القومية فى المغرب، وتبدأه بفصل أول عن أركون يواجه الاستعمار وتشرح فيه لماذا اندفعت إلى دراسة موضوعات خاصة بالفكر العربي، وهى الأخلاق عند مسكويه والسبب هو رعبتى فى أن أجد أسلحة أرد بها وأكافح بها الباحثين الغربيين الذين يتهمون الفكر العربى والإسلامى أى أنه لم يتبع نزعة فكرية وثقافية تماثل النزعة المعروفة فى أوروبا ويضيف أركون عندما قرأت ذلك فى حى المجاورين فى قاهرة الألف مئذنة قلت فى نفسى يجب أن أرد عليهم،

ولذلك أريد أن أسميها: الأنسية العربية فى القرن الرابع الهجرى.

أما الفصل الثانى من الكتاب فهو أركون والإسلاميات التطبيقية وفيه يجيب أركون عن السؤال: لماذا توجه إلى دراسات تهتم بنقد العقل الإسلامى وليس العقل العربى والأسباب هى أنى سمعت فى الجزائر بعد استقلالها حديثاً عن الاستقلال (أيديولوجى للفكر الإسلامى والثقافة العربية) أن الجزائريين ما كانوا يعرفون ولا يزالون يهملون الثقافة العربية والفكر الإسلامى ويتحدثون أنهم عرب ومسلمون ويتشدقون بكلام العروبة والإسلام وهم جاهلون بالتاريخ فقلت كجزائرى يجب علي أن أساهم فى تعريف الجزائريين: ما هو العقل العربى وما هو العقل الإسلامى، وإذا أنجزت هذا العمل لابد أن يستفيد منه كل العرب وليس الجزائريين فقط ولإنجاز هذا العمل يقول أركون اكتشفت أنه لابد أولاً ليس فقط من الناحية البحثية التاريخية كتاريخ، ولكن أيضاً بإثارة أسئلة مرتبطة بالوضع الأيديولوجى الراهن فى المجتمع الجزائرى والمجتمع المغربى وفى المجتمع العربى بصفة عامة وما حديثى فى هذا الفصل عن المجتمع الجزائرى إلا لأنى أعرفه كمنطلق فقط لأعمم البحث على جميع ما يهم الفكر العربى المعاصر وجميع العرب المعاصرين الذين يواجهون مشكلة ممارسة الحداثة الفكرية. وفى الفصل الثالث وهو بعنوان: أركون والبحوث القرآنية ويعتمد اعتماداً أساسياً على كتابه قراءات في القرآن« وفى الفصل الرابع بعنوان أركون وتحديث العقل الإسلامى، وفيه يجيب أركون عن السؤال كيف نفهم الإسلام اليوم؟ وفى الفصل الخامس وهو بعنوان «أركون والتاريخية» وفيه يحدد أركون موقعه من التاريخ كعلم ومن التاريخ كحياة واقعية للمجتمع، وهناك مشكلات عديدة يواجهها كل باحث فى التاريخ وهى كيفية التعبير عما يتعلق بحياة الجماعات احتراماً لروح العصر ومعاجم العصر ورفضاً لعمليات الإسقاط على العصور الماضية وأيضاً مشكلة الفصل بين المعرفة القصصية والمعرفة التاريخية، وفى الفصل الأخير الذى حمل

عنوان مصادر ثقافة أركون هناك أجاب عن قضية العلمانية والثورة الديموقراطية وقضية حقوق الإنسان وقضية النموذج الحضارى وقضية الفلسفة وعلم الكلام فى الغرب وعند المسلمين، وقضية البحر المتوسط وقضية الأديان المقارن وقضية الأنثروبوليجيات العربية وتفقد العقل السياسى. هذا ما قاله محمد أركون عن نفسه، وعن الكتاب الذى أرادنى أن أكتبه وما أعلمه أنه نشر فصولاً باللغة الفرنسية عن الأنسية والإسلام، وعن منهجه فى نقد العقل الإسلامى وعن طريقته فى القراءات القرآنية، لكنه – يرحمه الله – لم يفكر فى كتابة أعماله باللغة العربية ليس لأنه لم يكن يعرف اللغة العربية فقد كان لا يتكلم مع غيرها، وإنما لأنه كان يشعر بمرارة شديدة عندما يتجاهله الفكر العربى مع أنه ظل فى السنوات الأخيرة البوابة الطبيعية للفكر العربى والإسلامى فى جامعات الدنيا التى كان يدعى فيه كأستاذ زائر وأختتم بقولى: إن محمد أركون الذى رحل عن دنيانا عن عمر يناهز الثمانين كان يرى ضرورة مسايرة العصر الحديث لتبرئة الإسلام من تهمة أنه سبب التخلف، وأن تهميش الشباب فى المجتمع الإسلامي يزيد من حدة التوترات السياسية الحالية.